دراسة مخطوط"تسهيل الكافية" لعبد الحق الخير آبادي

(A Study of the Manuscript "*Tashīl al-Kāfiah*" by '*Abd al-Ḥaq al-Khair Abādī*)

* محمد شكيل

** االاستاذة الدكتورة راحيله خالد قريشى

*** محمد حسان عبيد

Abstract

Proving their good skills in Arabic, authors of the Subcontinent have produced significant works in this language. This article presents a study of famous Indian Scholar '*Abd al-Ḥaq al-Khair Abādī's* "*Tashīl al-Kāfiah*", a solution of "*Al-Kāfiah*" by *Ibn Hājib*, which was actually the work of Persian encyclopedic writer and traditionalist theologian *Sayyed Sharīf al-Jurjānī,* with the title "*Al-Tarjamah al-Sharīfah*". Due to the extraordinary benefits of "*Al-Kāfiah*" for the students and scholars, '*Abd al-Ḥaq Khair Abādī*, translated it from Persian to Arabic. The study gives a brief introduction of "*Tashīl al-Kāfiah*", its characteristics and methodology adopted by the learned exponent. It finds that the book contains classic and standard information on *'Ilm al-Naḥv.*

Key Words: "*Al-Kāfia*", *'Abd al-Ḥaq Khair Abādī*, "*Tashīl al-Kāfia*"

إن شبه القارة الهندية غنية جدا في إنتاج الأبطلال الباهرين في ميادين الحياة المختلفة، والاعتراف من أهل المعرفة والفن بنبوغهم واقتناعهم بتفوقهم منقول ومعروف لدى العارفين بأحوالهم. فلذا

* الباحث الدكتوراه بقسم اللغة العربيّة وآدابها، الجامعة الإسلامية، بهاولفور

** رئيسة قسم اللّغة العربيّة وآدابها، الجامعة الإسلامية، بهاولفور

*** الباحث الدكتوراه بقسم الدرسات الاسلامية، بجامعة سرجودها

نجد كثيرا من تعمق في بحر العلوم العربية وإن كانوا من غير الناطقين بالعربية؛ فكتب تراجم الأحوال واقتناع أهل الحل والعقد دالة على ذلك. فمن هذه النوابغ الشيخ العلامة عبد الحق العمري الخير آبادي، لقب بـــ''شمس العلماء'' من قبل الحاكم العام لارد دفرن (Lord Dufferin)-[2] وهو ابن فضل حق بن فضل إمام العمري الخير آبادي، وهو من رجال حركة الحرية والاستقلال لشبه القارة الهندية من الإنكيلز، وهو معروف بـ''باغي هندوستان'' وهو عالم متقن أيضا مؤلف كتب كثيرة،كما أنه حفيد للشيخ فضل إمام الخير آبادي صاحب المرقاة.[3] فمعنى ذلك أنه نشأ صاحبنا الممدوح في بيت عز وشرف وصاحب ثروة علمية. وأما اسم أمه فهو بي بي وزيرن-[4] ولد سنة 1244 من الهجرة الموافق بـــ1829م، كما ذكره مولانا عبد الشاهد خان، وأما تاريخ ولادته فلم يحدده أحد ممن ذكر تراجم أعلام الهند. وذكر مولنا عبد الشاهد خان أيضا أن مولده هو الدهلي، ولكن الزركلي ذكر في الأعلام: أنه من أهل بلدة ''خير آباد'' في الهند-[5] والأرجح أن مولده هو الدهلي وأما ما ذكره الزركلي فهو نسبة إلى موطن آبائه الأصلي، كما أنه أقام بها مرارا. وقد ذكر بعض مؤلفي تراجم الأعلام وفهارس الكتب نسبته إلى**''حيدر آباد'' فمنهم المستشرق الألماني الشهير كارل بروكلمان (Carl Brockelmann) فبين في ''تاريخ الأدب العربي'' بأن ''تسهيل الكافية'' تأليف محمد عبد الحق حيدر آبادي أكمله سنة 1286 من الهجرة، الموافق بـــ1869 من السنين المسيحية.[6] فلعل سبب انتسابه إليها أنه رحل في مرحلة من مراحل حياته إلى حيدر آباد عندما طلب ''نظام حيدر آباد'' –هو مصطلح كان يطلق على حكام هذه البلدة من القرن الثامن عشر إلى عشرين-[7] آصف جاه فأقام عنده ما أقام-[8]أما ''العمري'' فهو نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله تعالى عنه؛ لأنه من آله**

---

[2] عبد الشاهد خان شروانى، باغي هندوستان (لاهور: ممتاز پبليكيشنز، الطبعة الخامسة، 1997م)، 158-

[3] السيد صديق بن حسن خان قنوجي البخاري، أبجد العلوم (بيروت: دار الكتب العلمية، سنة النشر 1978م)، المجلد الثالث، 523-

[4] شرواني، باغي هندوستان ، 164-

[5]خير الدين الزركلي، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، 2004م)، المجلد 6: 186-

[6] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، المترجم: عبد الحليم النجار (قاهرة: دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، 1977م)، 5: 323-

[7] Roper Lethbridge, *The Golden Book of India* (New York: Macmillan. 1983), 179.

[8] شرواني، باغي هندوستان ،169-

ويصل ويجتمع نسبه معه رضي الله عنه على السلسلة الرابعة والثلاثين، فقد كان يذكر نسبته إليه والده بنفسه، فإن هذه النسبة نسبة مباركة ذات خير۔ فأثنى علماء عصره والذين جاءوا بعد فقد أفصل الفصل في ترجمته الشيخ عبد الحي الحسيني وقال عنه: ''...أحد العلماء المبرزين في المنطق والحكمة، لم يكن مثله في زمانه...عارفا بالنحو واللغة... (وعنده) من الأخبار التي تشنف الأسماع، والأشعار المهذبة للطباع، والحكايات عن الأقطار البعيدة وأهلها وعجائبها... ''[9] وقال خير الدين الزركلي تحت ترجمته: ''باحث، له علم بالنحو والمنطق والحكمة... صنف كتبا عربية.''[10]، وأثنى صديق حسن خان القنوجي عليه -وهو من معاصريه- بكلمات: ''كهلا في العمر وبارعا في العلم ومهذبا في الخلق...(وكراسته[11]) دالة على سعة علمه في هذا الفن. حياه الله وبياه.''[12] وقد اغترف غرفة مئات من الطلاب في هذا النهر الممتد والبحر الواسع، فمنها: مولانا السيد عبد العزيز سهانفوري، ومولانا الحكيم بركات أحمد تونكي، ومولانا نادر الدين، ومولانا ظهور الحسن رامفوري، ومولنا ماجد على جونفوري، وصاحبزاده المولوي أمير على خان رامفوري وابنه الرشيد أسد الحق الخير آبادي وغيرهم من العلماء.[13]كما ثبت لقاء الشيخ العلامة أحمد رضا خان البريلوي في صغر سنه بالعلامة محمد عبد الحق الخير آبادي، وهو عبقرية معروف لدينا في بلادنا،كما ذكر بروفيسور مختار الدين في ترجمته في طبعة خاصة لرسالة الميزان على الشيخ أحمد رضا خان بريلوي، فقال: ''أن له (أي لأحمد رضا خان) حاجة إلى ذهاب رامفور مع أقربائه بالمصادفة سنة 1288م على الأغلب، بعد الفراغ من حصول العلوم الدينية على يد والده وهو في الرابع عشر من عمره. ولما سمع السيد النواب كلب علي خان عنه وعن حذاقته، طلبه إليه؛ لما في قلبه ميلان إلى العلم والعلماء والشعراء، وأجلسه على سرير خاص وتحدث معه باللطف والكرم، وأرشده إلى الشيخ عبد الحق الخير آبادي قائلا: بأنه عالم باهر في

---

[9] عبد الحي الندوي، الحسيني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (بيروت: دار ابن حزم، 1999م)، 1263۔

[10] الزركلي، الأعلام، 6: 186۔

[11] قد كتب الشيخ محمد عبد الحق الخير آبادي كراسة على كتاب صديق حسن خان القنوجي "حصول المأمول" وتأليفه هذا عن أصول الفقه.

[12] قنوجي، أبجد العلوم، 3: 255۔

[13] شرواني، باغي هندوستان ، 182-181۔

المنطق؛ فله أن يدرس الكتب المنطق القديمة على يده.''14وأما آثاره الجليلة التي ورثناها من الشروح والهواشي والتصانيف: ''حاشية قاضي مبارك''، و''حاشية غلام يحيى''، و''حاشية حمد الله''، و''حاشية مير زاهد أمور عامة''، و''شرح هداية الحكمة''، و''شرح مسلم الثبوت''، و''تسهيل الكافية''، و''شرح سلاسل الكلام''، و''جواهر غالية''، و''رسالة تحقيق تلازم''، وغيرها. ابتلي في آخره عمره بضيق النفس وتسمن كبده فتوفي بسبب هذه الأمراض في الثالث والعشرين من شهر الشوال سنة 1316 من الهجرة ودفن بجوار مدفن جده والأستاذ ملا أعلم سنديلوي في دركاه مخدوم شيخ سعد، رحمه الله رحمة واسعة جمة. [15]

دراسة المخطوط ''تسهيل الكافية''

سبب تعريب هذا الكتاب

قد نما شيخنا الممدوح في جو علمية ونظر حوله حلقة من نوابغ عصره، مثل:مولانا رشيد الدين خان، والمولوي مخصوص الله بن شاه رفيع الدين، ومولانا الشاه محمد إسحاق المحدث، والمولوي نصير الدين الشافعي، ومثل نابغة عصره أسد الله خاں الغالب وغيرهم من كثير العلماء والفضلاء، كما أنه اختار صحبة النواب كلب على خان- وهذا هو الشخص الذي أشار عليه أن يعرب ''تسهيل الكافية'' من اللغة الفارسية، نحن في صدد دراسته- على مطالبته وهو العاشر من حكام رامفور۔[16]وكان هذا النواب مولعا للعلم والأدب فلذا يقيم وزنا للعلماء والأدباء وهو أيضا ذو ثروة وجود وكرم، وهو رجل خصيب في حقهم فاجتمع العلماء حوله. وبولوعه للعلم جمع أيضا معظم المخطوطات النادرة للعالم الإسلامي من خلال جهوده في مكتبة رضا رامفور، وكان يجيد اللغتين العربية والفارسية.[17]

---

[14] مختار الدين أحمد،" إمام أحمد كا شخصيتي جائزه۔ "الميزان: طبعة خاصة عن الشيخ أحمد رضا خان البريلوي (بمبئ: أردو بريس، 1976م)، 332۔

[15] شرواني، باغي هندوستان ، 176-177۔

[16]محمد نجم الغني،أخبار الصناديد (لكنو: مطبع منشي نَوَل كِشَور بالهند، 1918م)،2: 184-191۔

[17] محمد عالم الإكرام، حقيقت رام پور (بدايون: مطبع نظام بريس بالهند، 1940م)، 37۔

تعريف وجيز لثلاث نسخ لـ''تسهيل الكافية''

والآن نطرح نظرة شمولية على دراسة المخطوط ''تسهيل الكافية'' فهو شرح شرحه السيد شريف الجرجاني الكافية لابن حاجب باللغة الفارسية وسماه بـــــ''الترجمة الشريفية''،[18] وترجمه الشيخ عبد الحق الخير آبادي في اللغة العربية؛ ليعم نفعه لطلبة العرب ويسهل عليهم استفادته، ولذا سماه بـــــ''تسهيل الكافية''. وعندي ثلاث نسخ لهذا المخطوط وقد تم تأليف أولها في ذي الحجة سنة ست وثمانين بعد الألف ومأتين من الهجرة (1286هـ) الموافق بـــ(1870م)[19]. وهذا هو الأصل الذي اعتمدت عليه وجعلته أصلا في نقل المتن، وأما نسخة ثانية فهو نقل إلينا سنة واحد وتسعين بعد الألف ومأتين (1291) من الهجرة، في شهر ذي القعدة الموافق بـــ(1874م) من السنن المسيحية، بتصحيح المولوي محمد أعظم حسين الخير آبادي، وأما نسخة ثالثة فهو نسخ مرة أخرى في شهر ذي القعدة سنة (1301) من الهجرة، بتصحيح المولوي محمد إحسان الكنوي الموافق بـــ(1884م). وهذه كلها مجلد واحد. وفي الأصل المعتمدة ثلاثة وعشرون سطرا في كل صفحة، في الغالب وعدد الصفحات كلها ١٥٦ ولنسخة ثانية ١٨٨ ولأصل ثالث ١٢٨ صفحة وأما حجمه في بوصات "6.2 × "9.4.

منهجه في هذا الشرح

وأما منهجه فيه فبدأ الكلام بحمد لله والثناء عليه والصلاة والسلام على نبيه الكريم ﷺ وآله وأصحابه كما هو معروف عند المؤلفين والشارحين. وبعد الحمد والصلاة، ذكر سبب ترجمته من الفارسية إلى العربية وهو ليعمّ نفع هذا التأليف إلى طلبة العرب وتعظم وقعه عند العجم فبعدئذ طلب التوفيق من الله سبحانه وتعالى.هذا ذكر مقدته وأما الشرح فالمعروف لدى الشارحين في شروحهم إما أن تكون شروحا مستقلة عن النص أو ممزوجة مع النص، فالمنهج الثاني أعني امتزاج الشرح مع المتن غالب في ''تسهيل الكافية''، بل ينثر الدرر غالبا بحيث لا يكاد القارئ أن يفرق بين الشرح والمتن، فمثلا:''<u>والأصل</u> في الفاعل <u>أن يلي الفعل</u>، ويتقدم على سائر معمولاته؛ لأن الفاعل بمنزلة جزء الفعل، ومن عمدة معمولاته، وإن كان بحسب اللفظ مؤخرا عن معمولاته الآخر فهو مقدم عليه بحسب الرتبة؛ <u>فلذلك جاز: ''ضرب غلامَه زيدٌ''</u>؛ لأن الضمير راجع إلى...''[20]وفي بحث

---

[18] عبد الحي الندوي الحسيني، الثقافة الإسلامية في الهند، ترجمه- مولانا أبو العرفان الندوي (أعظم گره: دار المصنفين شبلي أكادمي، 2009م)، 51-

[19] محمد عبد الله الحبشي،جامع الشروح والحواشي (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2004م)، 2: 1439-

[20] عبد الحق خير آبادى ،تسهيل الكافية، 20-

الممنوع من الصرف قال: ''التأنيث اللفظي الحاصل بالتاء الملفوظة: شرطه في سببية منع الصرف العلمية؛ إذ مع وجود هذا الشرط تكون التأنيث لازما فيصير قويا، كما في ''طلحة''،... و التأنيث المعنوي الحاصل بالتاء المقدرة أيضا كذلك...''[21]

الأمثلة في هذا الحيز كثيرة جدا، حتى تجد في كل صفحة من هذا الشرح. والشيخ يشرح حينا كلمة كلمة وجملة جملة أخرى ولذا تجده كثيرا يورد كلمة ''أي'' التفسيرية، مرة بعد أخرى، وإن كان لا يخلو من المنهج الأول كما ذكرت أمثلته. فهو - وفقا للمنهج الثاني - تارة بل كثيرا، يورد جزءا من نص الكافية، ثم يشرح عقبه، ثم يأتي بالعبارة الباقية فيشرحها، فعلى هذا القياس، فمثلا:'' الاسم: ''ما دلّ على ..... بأحد الأزمنة الثلاثة'' فقوله: ''ما دلّ على معنى'' بمنزلة الجنس مشترك بين جميع الكلمات، وقوله: ''في نفسه'' يخرج الحرف...''[22]وتارة -قبل أن يذكر نص الكافية- يأتي بعبارة تمهيدية ثم يشرح نص الكافية بعد ذكره، ومن ذلك:''ولما عرف تعريف الاسم بما ذكر في وجه تقسيم الكلمة إلى الأقسام الثلاثة على وجه التبعية والتضمن، أراد أن يذكره بالإصالة والصراحة، فقال: الاسم: ''ما دلّ على معنى في نفسه...''[23]

استخدام مصطلحات علوم أخرى في هذا الشرح

وفي أثناء الشرح يظهر أنه يورد -في بعض الأحيان- عبارات من علوم أخرى غير النحو كالمنطق والكلام والعروض وغير ذلك ففي تعريف الكلمة قال:''وُضِعَ، الوضع في الاصطلاح: ''تعيين شيء لشيء بحيث إذا فهم الشيء الأول فهم الشيء الثاني''[24]، والأشياء الدالة على المعنى بحسب الوضع خمسة: ''الألفاظ، الخطوط، والإشارات، والعقود، والنصب''[25]، ويقال للأربعة الأخيرة: "الدوّال الأربعة" وهي ليست بداخلة في اللفظ فلا حاجة إلى قيد يخرجها.''[26] ومثاله ذلك ما ذكر في مبحث ''الممنوع من الصرف''، فقال: يجوز صرفه للضرورة الشعرية بصورة أن يكون الوزن مستقيما لكن يقع الزحاف

---

[21] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 12، 13-

[22] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 5-

[23] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 5-

[24] الجرجاني، السيد الشريف، معجم التعريفات (مصر: دار الفضيلة. بدون تاريخ سنة النشر)، 211-

[25] مسعود بن عمر التفتازان، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (بيروت: دار الكتب العلمية، 2013م)، 507-

[26] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 3.

يخرجه عن السلاسة،كما في قوله:أعِدْ ذكر نعمانٍ لنا إن ذكره هو المسك ما كرّرتَه يَتضوَّع[27-28]فالزحاف مصطلح علم العروض وهو ''عبارة عن تغيير يتناول ثواني الأسباب، ويكون بتسكين المتحرك أو حذفه، أو حذف الساكن.''[29]

الشرح اللغوي للكلمات الغامضة والمصطلحات

وهو لا يقتصر على توضيح حدود الكافية بيانا اصطلاحيا بل يطرح حلالها من ناحية لغوية عندما يحس حاجته، فمن أمثلة ذلك ما قال في توضيح الكلمة والكلام: '' لفظ، اللفظ في اللغة: ''الرمي'' يقال ''لفَظتِ الرحى الدقيق''. ثم استعمل في رمي شيء عن الفم، نحو: ''أكلت التمرة ولفظت النواة''..... الكلام: يطلق في اللغة على ما يتكلم به قليلا كان أو كثيرا.''[30]كما أنه في بعض الأحيان يشرح الكلمات الغامضة لغة؛ ليسهل فهما على القاري. فقال حينما أخذ يشرح ما قال المصنف في الإعراب: ''ليدل على المعاني المعتورة أي المتعاقبة عليه.''[31]ولا يخفى على المحققين أن من دأب ابن الحاجب أنه يورد كلمات غير مألوفة في الحدود ومن هذه كلمة ''المعتورة'' فشرح المؤلف بـــ''المتعاقبة'' وهو المتداولة۔[32]

تزئين الشرح بالأمثلة

وزين أيضا هذا الشرح بالأمثلة ولعل هذا من أهم ميزات هذا الشرح؛ لكي يسهل الفهم على طلبة العلم وتجد ذلك في هذا الشرح كثيرا؛ لأنه يناسب اسم الكتاب أي ''تسهيل الكافية'' وهو مقصوده من هذا الشرح. ومن أمثلة ذلك ما قال في توضيح الكلمة والكلام:''...سواء كان حرفا واحدا كـ''همزة الاستفهام'' أو زائدا، كـــ''زيد''، وسواء كان مهملا، نحو: ''جسق ''33 أو مستعملا، نحو: ''ضرب''، ثم إن اللفظ ههنا وإن....'' إلى أن قال: ''واعلم أنه يدخل في اللفظ الألفاظ المهملة والمستعملة،

---

[27] أي تنتشر وتفيح رائحته بالتحرك أي بذكره.انظر: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط (قاهرة: دار الحديث، ط 2008م)، 986۔

[28] البيت لمهيار الديلمي في ديوانه. انظر:الديلمي، مهيار، ديوان مهيار الديلمي (قاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، 1925م)، الجزء الثاني، 184۔

[29] محمود مصطفى، أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 2005م)، 31۔

[30] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 2-4۔

[31] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 2-4۔

[32] الفيروز آبادي، القاموس المحيط،1160۔

[33] مركب من ''ج، س، ق''، لا معنى له۔

المفردة والمركبة، سواء كانت كلامية، نحو: ''زيد قائم.'' و ''ضرب زيدا.'' وغير كلامية، نحو: ''غلام زيد وفي الدار''. وخرج بقيد ''الوضع'' المهملات وبقيد ''المفرد'' المركبات الكلامية وغير الكلامية. ومثل ''عبد الله'' علما داخل في لفظ وغير داخل في لفظة...''[34] ومن ذلك: ''فالمفرد المنصرف، نحو: ''زيد'' و ''رجل''، وجمع المكسر المنصرف، نحو: ''رجال'' و ''طلبة''، إعرابها: بالضمة رفعا، أي حالة الرفع والفتحة نصبا، أي حالة النصب والكسرة جرا، أي حالة الجر، نحو: ''جاءني زيدٌ ورجالٌ وطلبةٌ.'' و ''رأيت زيدا ورجالا وطلبة.'' و''مررت بزيد ورجال وطلبة.''... ''[35]

بيان حد لما لم يعرفه ابن الحاجب

ويلقي ضوءا على ما لم يعرفه ابن الحاجب، فمثال ذلك ما بين في حد الوضع، كما تقدم.[36] ومثاله أيضا تعريفه للوصف، فقال: ''فالوصف: عبارة عن الاسم الذي يدل على ذات مبهمة باعتبار اتصافها بصفة من صفاتها.''[37]

الإجابة عما ورد من الإشكالات على متن الكافية

ويجيب عما ورد شبهة أو إشكالا على كلام ابن الحاجب، إن يتفق معه في هذا الأمر. أما منهجه فيه أنه –أولا- يورد الإشكال والشبهة والاحتمال فبعدئذ يجيب عنه، وقد يورد ما يطرأ على النص من الإشكالات بأساليب متعددة فيجيب عنها، فمثلا يقول تارة: ''وإن قلتَ...فقلتُ...''، و في بعض الأحيان: ''لا يقال...لأنه...''، وفي حين: ''إن قيل...يقال...''. ومن ذلك ما ذكر في بحث ''العجمة''،ومن دأبه أيضا إيراده الشبهة بهذه الكلمات ''إن قلت، يلزم على المصنف''، فقال: ''فإن قلت يلزم على المصنف كون الكلمة الواحدة في حالة واحدة، معربة بإعرابين. قلت هذان الإعرابان كانا في الأصل أعني في حالة الإضافة، فبقيا في هذا الحال أيضا...''[38] فمثال ذلك:''لا يقال: قد جوزتم في ''هند''الصرف وعدم الصرف، مع سكون الأوسط، فهلا جوزتم مثل ذلك في ''نوح'' و ''لوط''؛ لأنا نقول التأنيث سبب قوي محقق؛ فيجوز اعتباره، مع سكون الأوسط. وأما العجمة فسبب ضعيف مقدر، ومثل هذا السبب الضعيف لا يعتبر مع سكون الأوسط. فإن قلتَ: إنكم اعتبرتم العجمة مع

---

[34] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 3-

[35] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 6-

[36] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 3-

[37] أحمد، ملا، تحرير سنبث (كوئتة: مكتبة الرشيدية، بدون سنة النشر)، 49. ينظر أيضا: تسهيل الكافية، 11.

[38] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 3.

سكون الأوسط في ''ماه'' و ''جور''؛ فعلم أن العجمة تعتبر مع سكون الأوسط أيضا. قلتُ: إنما اعتبرنا العجمة هناك لتقوية سببين آخرين؛ لئلا تقاوم سكون الأوسط أحدهما. ولا يلزم من اعتبار العجمة لتقوية سبب آخر، اعتبار سببيتها في منع الصرف استقلالا.''[39]

بيان إعراب الكلمات وما ورد على المتن من الاحتملات

ويعرب أيضا كلام ابن الحاجب ما طرأ عليه احتمالات، ومن أمثلته ما قال في توضيح الكلمة والكلام: ''مفرد الظاهر أنه صفة لمعنى. ويحتمل أن يكون صفة بعد صفة للفظ؛ لأن إفراد اللفظ والمعنى متلازمان...'' فعلى الاحتمال الأول يكون ''مفردٍ'' والاحتمال الثاني ''مفردٌ'' وهنا الاحتمال الثالث، أشار إليه بعض الشارحين فهو ''مفردًا'' أعني على كونه حالا من المضمر لكلمة ''وُضِع''، كما في هامش الكافية المطبوعة من مكتبة البشرى بكراتشي-[40]والمثال الآتي من أهم الأمثلة في ذلك الحيز؛ لأنه يتضح به اعتقاده وصبغة تفكيره:''وخالف سيبويه أبو الحسن الأخفش، المشهور أن الأخفش تلميذ سيبويه، ولذا قيل: إن الأخفش مرفوع وإنما قدم سيبويه؛ لتفضيله، وإن جعل سيبويه فاعل ''خالف''، يكون معنى الكلام أن الأستاذ خالف تلميذه، وهذا ليس بمستحسن، إلا أن يقال لما كان قول التلميذ ظاهرا كما ستعلم أسند المخالفة إلى الأستاذ.''[41]

بيان سبب تسمية المصطلحات

وقد يوضح أيضا سبب تسمية المصطلحات بمسماها، فقال عند بيان أسباب الممنوع من الصرف تحت مبحث ''الألف والنون الزائدتان'': ''وإنما سميا مزيدتين؛ لأنهما ليسا من الحروف الأصول بل من الحروف الزوائد، كما علم في التعريف، ويسميان مضارعتين أيضا؛ لمشابهتهما لألفي التأنيث في منع دخول التاء التأنيث عليهما-"[42]

الإلمام على العلل النحوية

ويظهر لنا مرارا - أثناء دراسة هذا الشرح - أنه كان ولوعا وحريصا أشد حرص على اهتمام بالعلل النحوية ولا يكاد يترك حكما من الأحكام بدون ذكر علته، وهذا من أهم ميزات هذا الشرح وبحاجة أن

---

[39] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 14-

[40] أبو عمرو، عثمان بن عمر ابن الحاجب، الكافية (كراتشي: مكتبة البشرى، 2011م)، 7-

[41] خير آبادى ،تسهيل الكافية، ، 19-

[42] استرابادي، رضي الدين، محمد بن حسن، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب'' (أشرف على طباعته إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود، الطبعة الأولى، 1993م)، 1: 169. ينظر أيضا: تسهيل الكافية، 12-

يهتم بالاستقلال، إليك أمثلة منها ما ذكر في علة وضع الإعراب في آخر الاسم، فقال: ''اعلم أن للاسم معنيين: الأول مسماه الذي يفهم من جوهر لفظه وهو يلازمه دائما، والثاني ما يتعاور عليه، نحو: الفاعلية والمفعولية والإضافة. ولما لم يدل جوهر الاسم على تلك المعاني المعتورة، احتيج إلى وضع علامة دالة على تلك المعاني المعتورة، وهي الحركات والحروف التي تختلف في آخر الاسم باختلاف العوامل. وإنما وضع الإعراب في آخر الاسم؛ لأنه يدل على صفة ولا بد من تأخر علامة الصفة عن ذات الموصوف. وإنما وضع الإعراب في آخر الاسم لأنه يدل على صفة، ولا بد من تأخر علامة الصفة عن ذات الموصوف.''43 وهذا القول قريب مما ذكر الزجاجي بأن الإعراب الداخل على الكلام دليل على المعاني؛ فيجب أن يكون تابعا للأسماء؛ لأنه قد قام الدليل على أنه ثان بعدها[44]. ومن أمثلته أيضا ما قال في جعل الرفع علما للفاعلية والنصب علم المفعولية والجر علما للإضافة: ''فالرفع علم الفاعلية، لأن الفاعل واحد والرفع ثقيل؛ فأعطي الخفيف للكثير، والجر علم الإضافة؛ إذ لم يبق للمضاف إليه إعراب آخر، يكون علامة له فجعل الجر الذي هو أخف من الرفع وأثقل من النصب علامة له.''[45]

الإشارة إلى نسخ الكافية

وقد يشير أيضا إلى نسخ الكافية كما قال في بحث ''العدل'' بأن كلمات ''باب قطام في بني تميم'' غير موجودة في بعض النسخ ويرجح أيضا أنها لا يليق أن يذكرها في هذا الباب[46]. ومن ذلك ما ذكر في بحث ''المرفوعات'': ''ومنها أي من جملة المرفوعات وفي بعض النسخ[47]: ''ومنه''، أي من جملة المرفوع المبتدأ والخبر...''[48]

منهجه في بيان آراء مختلفة

وعلى الأغلبية، يذكر آراء حول مسئلة ولا يصرح بمن قائلها فيقول: ''قال بعضهم'' أو ''ذهب بعضهم'' أو ''كما هو رأي البعض'' وغير ذلك من الأساليب. وقد يأتي بالمسألة التي فيها أكثر من رأي،

---

[43] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 6-

[44] أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، الإيضاح في علل النحو (بيروت: دار النفائس، 1979م)، 76-

[45] خير آبادى ،تسهيل الكافية ، 6-

[46] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 11-

[47] محمد بن عمر الحلبي، كشف الوافية في شرح الكافية تحقيق- سعيدة عباس عبد القادر شهاب، رسالة ماجستير(مكة المكرمة: جامعة أم القرى 1408هـ)، 132-

[48] خير آبادى ،تسهيل الكافية ،28.

فيذكرها من غير بين غير بيان المرجوح أو الراجح، ومن ذلك:''وإنما الخلاف في حالتي الرفع والجر، فبعضهم قال: الاسم منصرف وتنوينه تنوين الصرف؛ لأن الإعلال مقدم على منع الصرف... وذهب بعضهم: إلى أن بعد الإعلال غير منصرف لتحقق الجمعية مع صيغة منتهى الجموع؛ لأن الياء المحذوفة بمنزلة الملفوظة... و تنوينه تنوين العوض...'' [49-50]وقد يبين ما أرجح عنده، بعد بيان الآراء حوله، وببيان الترجيح معه و بدونه أيضا، ومثاله:واعلم أنهم قد اختلفوا فيما بينهم فذهب بعضهم إلى أن الألف والنون المزيدتين علتان لمنع الصرف من جهة كونهما زائدتين فرعين للمزيد عليه، وبعضهم إلى أنهما علتان من جهة مشابهتهما؛ لألفي التأنيث، والقول الثاني أرجح-[51]وقد يذكر قائله، هذا قليل جدا، ومن ذلك: ''واعلم أن العامل في المبتدأ والخبر معنى الابتداء وهو رافع لهما، وهذا مذهب نحاة البصرة...''[52]

مذهبه النحوي

وكثيرا يرجح مذهب البصريين وإن كان لا يصح هذا على الإطلاق. وقد يشير إلى القول الضعيف بصيغة التمريض، مثال ذلك:'' ووزن فعل وهذا القــول تقريــب يعني أن ذكر العلل بطريق النظم تقريب لها إلى الحفظ والضبط؛ لأن حفظ النظم أسهل. وقيل المراد أن القول بكون كل واحد من العلل التسع علة منع الصرف قول تقريبي، لا تحقيقي؛ إذ العلة في الحقيقة اثنان منها أو واحدة مكررة. ''[53]ومن ذلك ما قال في عامل المبتدأ والخبر: ''وتوهم بعضهم أن كل واحد من المبتدأ والخبر عامل في الآخر[54].''

الاستشهاد بالشواهد

وهو يلتزم الشواهد من كلام العرب حينما يحس الحاجة إليها وهو يستشهد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والقياس والسماع كما يستشهد من الأشعار والنثر، كما في ''باب الممنوع من الصرف''

---

[49] قاله الزجاج. ينظر: رضي الدين محمد بن حسن استرابادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب (جامعة محمد بن سعود: أشرف على طباعته إدارة الثقافة والنشر ، 1993م)، 1: 164-

[50] خير آبادى ،تسهيل الكافية ،15-16.

[51] استرابادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب،1: 169-

[52] عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن أبي سعيد الأنباري، أسرار العربية (لاهور وكوئته: مكتبة المعرفة ، ، 1997م)، 55-56. وينظر أيضا: خير آبادى ،تسهيل الكافية 29-

[53] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 9-

[54] ذهب إليه الكوفيون. انظر: عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي سعيد الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف (قاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 2002م)، 40-

عندما يبين صرف غير النصرف للضرورة الشعرية فقال: (يجوز صرفه) إما بأن لا يستقيم الوزن بدون التنوين، كما في قول الشاعر:صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا[55]وفي باب التمييز يقول: كم عمة لك يا جرير وخالة؟ فدْعاء قد حلَبتْ عليّ عشاري[56]

منهجه الخاص في بيان النكات النحوية وفوائده

ولم يكتف الشارح رحمة الله في هذا الشرح على حلال غموض الكافية وطرح أمثلة على مشكلاته بل يضيف كثيرا من الفوائد العلمية القيمة، واستنباطاته ترتقي إلى منتهاها عندما يقول: ''اعلم'' فيشير بعدها إلى أصول مثيرة للانتباه وجديرة بأن تلحظ وتذكر، كما قال في عامل المبتدأ: ''واعلم أن العامل في المبتدأ والخبر معنى الابتداء وهو رافع لهما، وهذا مذهب نحاة البصرة، وقال بعضهم الابتداء عامل في المبتدأ، والمبتدأ في الخبر، وتوهم بعضهم أن كل واحد من المبتدأ والخبر عامل في الآخر.'' [57] وكما قال في بحث الحال: ''واعلم أن الحال قد يتقدم على العامل اللفظي؛ لأن العامل اللفظي؛ لتقويته يتصرف في المتقدم والمتأخر ولكن لا تقدم على العامل المعنوي؛ لأن العامل المعنوي عامل ضعيف، لا يتصرف في المتقدم بخلاف الظرف؛ لأنه يتقدم على العامل المعنوي، ويتوسع فيه ما لا يتوسع في غيره، كما تقول: ''كلَّ يوم لك ثوب.'' فـ''كل يوم'' منصوب بسبب العامل المعنوي وهو ''لك''.[58]''

منهجه في الرد على المصنف

وقد يختلف الشارح عن المصنف رحمهما الله كما في باب العدل تحت بحث غير المنصرف فلاح له أن ذكر ''قطام'' في هذا المجال لا يليق، فقال: ''ذِكْر باب قطام ههنا غير مناسب؛ لأنها في لغة الحجاز مبنية كأخواتها الثلث، وهي: فعالِ بمعنى ... وفي لغة بني تميم وإن كانت معربة لكنها غير منصرفة؛ للعلمية والتأنيث؛ فتقدير العدل فيها حملا لها على ذوات الراء، نحو: ''حضار'' وغيرها، مما اعتبروا فيه العدل

---

[55] أنشد هذا البيت فاطمة بنت محمد ﷺ، ولم أقف على قائله.انظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء(بيروت: مؤسسة الرسالة، بدون سنة النشر)، 4: 113-

[56] البيت للفرزدق في هجاء جرير. انظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب (قاهرة: مكتبة خانجي، ، 1997م)، 2: 376-

[57] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1998م)، 1: 311-

[58] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 52-

لتحصيل سبب البناء غير محتاج إليه؛ فالأولى أن لا يذكر ''قطام'' في هذا الباب، كما في بعض النسخ.''[59] يتضح لنا من هذا الاقتباس منهجه عندما تضارب الآراء في أمر من الأمور:أولا:ـ منهجه عندما حدث الاختلاف منهج وسط لا قطع. ثانيا:ـ تعليق الاختلاف بالتعليل؛ فيذكر سبب اختلافه.ثالثا:ـ توجيه موقف من تضارب رأيه به وتلمس درب متوسط، كما قال بأن ذكر ''القطام'' لا يوجد في بعض النسخ.

توضيح الاختصارات التي وردت في هذا المخطوط

وكان يستخدم الكتّاب والنساخ اختصار الكلمات (abbreviation) والعلامات للألفاظ التي كثرت ورودها في العبارات ودأبهم هذا مألوف مشتهر بين من اطلع على أسلوب التحرير للكتب العربية القديمة؛ فلذا نجد أن ناسخي هذا المخطوط، قد استخدموا بعض رموز الكلمات واختصارها؛ فقد جمعتها وبينت شكلها الكامل فيما يلي:

الاختصار	الشكل الكامل
آه	اقرأ إلى آخره. وهذا الاختصار معروف بين نساخ الشبه القارة الهندية وهو بديل اختصار ''إلخ''.
حٍ	حينئذ
فحٍ	فحينئذ
المص	وهو اختصار كلمة ''المصنف''، يوجد مرة بعد أخرى في (ع) و (ح).
كك	كذلك
أيض	أيضًا
بط	اختصار كلمة ''باطل''
ـــــ	هي ليست اختصار أي كلمة ولكن علامة استخدمت في هذا الشرح لكلام مسأنف، ولكل فرع من الفروع التي تتفرع من مصطلح، وهي كتبت فوق الكلمة.
الظ	الظن

ومن هذا كله -وإن كان بالإيجاز- يتضح لنا أن لهذا الشرح مكانة علمية عالمية مرموقة، وهو شرح -وإن كان وجيزا- ولكن يوفر ما قُصِد منها، فهو يشمل كثيرا من الفوائد العلمية والآراء النحوية الجديرة بأن تلاحظ.

[59] خير آبادى ،تسهيل الكافية، 11ـ

النتائج والتوصيات

''الكافية'' لابن الحاجب أشهر مصادر النحو، وكتابه هذا شامل في المنهاج الدراسي في المدارس الدينية منذ قرون فأكب العلماء على شرحه والتعليق عليه؛ لإفادته وشهرته العامة، ومن هذه العلماء العالم النبيل الجليل المعروف بـ''السيد الشريف'' من العلماء القرن الثامن الهجري، وهو مؤلف حوالي خمسين كتابا، وبعض كتبه مقررة في المنهاج الدراسي في مدارس دينية حتى الآن. كان مولده بلاد فارس بـ''جرجان'' فلها مساهمة جليلة في نشر العلوم، فشرح الكافية في لغته الأم بالفارسية، وسماه كتب التراجم ''الترجمة الشريفية'' فمعنى ذلك أن هذا الشرح الذي نحن في صدد دراسته كتب قبل قرابة سبعة قرون. انقضى فترة طويلة حتى جاء القرن الرابع عشر فأشار نواب رامفور كلب على خان –وكان مشتاقا إلى العلم والعلماء فجمع عددا كثيرا من المخطوطات في مكتبته- على محمد عبد الحق الخيرآبادي أن يهتم هذا الشرح ويعربه، ولعله هذا الشرح كان من المخطوات التي جمعها. فألبس شيخنا الممدوح ألفاظه الفارسية الثياب العربية، فهكذا منّ على هذا الشرح الجليل وشائقي علم النحو الذين لا خِبرة لهم باللغة الفارسية. وكان شيخنا الممدوح من سلالة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبواه فضل إمام الخيرآبادي وفضل حق الخيرآبادي من الشخصيات المعروفة في شبه القارة الهندية، وكان عبد الحق الخيرآبادي أيضا من العلماء الكبار في هذه البلاد ومصنف كتب كثيرة. ومعربه هذا قد تقرر في المنهاج الدراسي في مدارس دينية في شبه القارة الهندية.وأما ميزات هذا الشرح فهو الإيجاز كما كانت تلاحظ هذه الميزة في متن الكافية، والتسهيل، والإلمام بعلل النحوية، وكما أشار الشارح أيضا في بعض مواضعه إلى نسخ الكافية، وأوضح أيضا المسالك المختلفة في مواضع الاختلاف ولكن بدون انتساب الأقوال إلى قائليها على الأغلبية، ويرجح أيضا ما يجد به علية الصواب، وينتقد أيضا عندما يجد الضعف في قول ما، ومن الأهم أن يلاحظ أنه يبين عموما دليل الخصم، ويميل أيضا إلى مذهب البصريين. فبهذا يمكن أن نقول إن هذا الدراسة يقدم الصورة الصحيحة للمسلمين أمام العالم؛ لأن الرجوع بالأصل هو سبب النجاة والفلاح، ولعله يحض المسلمين أن يقوموا مقاما قاموا عليه قبل الذي عرف بهم جيلا بعد جيل، وصل إليهم بادئ بدء، ولكن أعرضوه وأهملوا الأمر فها هم آنئذ. وبالإضافة إلى ذلك قد يتضح به أعمال علماء شبه القارة الهندية ،كما أنه يلقي ضوءا على أن جلالة شخصيتهم لا تقل من أي شخص يعيش في أي منطقة من مناطق العالم، وهو كما يفسر خدماتهم الأدبية على الإطلاق. فبناء على هذا:على أصحاب المدارس الدينية أن اتجهوا إلى هذه الجهة فيقرروا أمثال هذه الشروح في منهاجهم الدراسي.وعلى أهل الحل والعقد أن يتهجوا إلى اهتمام مثل هذه الكتب كي نحافظ على تراثنا.